مسارات صعبة

الحركة الوطنية الفلسطينية في سيرة

صلاح خلف (أبو إياد)

1933-1971

مسارات صعبة

الحركة الوطنية الفلسطينية في سيرة

صلاح خلف (أبو إياد)

1933-1971

معين الطاهر

منى عوض الله

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الطاهر، معين

مسارات صعبة: الحركة الوطنية الفلسطينية في سيرة صلاح خلف (أبو إياد)، 1933-1971/ معين الطاهر، منى عوض الله.

479 صفحة: إيضاحيات؛ 24 سم. - (سلسلة ذاكرة فلسطين)

يشتمل على ببليوغرافية (ص. 439-462) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-700-9

1. خلف، صلاح، 1933-1991 تراجم. 2. فتح (منظمة). 3. منظمة التحرير الفلسطينية. 4. السياسيون الفلسطينيون - تراجم. 5. القضية الفلسطينية. 6. النزاع العربي الإسرائيلي. 7. فلسطين - تاريخ - الاحتلال الإسرائيلي، 1948 -. أ. العنوان. ب. عوض الله، منى (مؤلف). ج. السلسلة.

956.9405092

العنوان بالإنكليزية

Difficult Paths: The Palestinian National Movement in the Journey of Salah Khalaf (Abu Iyad), 1933–1971

by Mueen Taher & Muna Awadallah

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 40356888 00974

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، أيلول/ سبتمبر 2025

إهداء

"أُهدي هذه الأوراق إلى زوجتي التي تحمّلت من أجل القضية كما تحمّل غيرها، ولكن بصمت. وإلى أولادي الذين قد أكون حرمتهم الكثير، في كثير من الأحيان، مما يتطلبه الطفل في مراحل عمره من عطف وحنان. ولكن كل هذا كان من أجل القضية، من أجلهم، ومن أجل مستقبلهم، ومن أجل ملايين الأطفال الفلسطينيين والعرب الذين يرنون إلى فلسطين عربية محررة"[1].

[صلاح خلف]

(1) أُخذ هذا النص من مستهلّ أحد التسجيلات التي يغطي فيها أبو إياد جزءًا من سيرته. يُنظر: "اجتماع صلاح خلف مع أسرته، ج 1"، مجموعة صلاح خلف، أرشيف ذاكرة فلسطين، تسجيل رقم: م.خ/ ش 3/ و 2.

المحتويات

قائمة الصور 11

تمهيد 17

مقدمة 23

الفصل الأول: الميلاد والنشأة 27

في البدء كانت يافا 27

منظمة النجادة: معسكر التدريب الأول 31

الهجرة من يافا 37

موتٌ في لحظة الميلاد 45

الفصل الثاني: بين غزة والقاهرة 49

في غزة 49

رابطة الطلاب الفلسطينيين 51

خطابٌ أمام الملك سعود 68

تظاهراتٌ واعتقالاتٌ 72

مع الإخوان المسلمين 92

إرهاصات حركة فتح 100

عائلة على خط النار 106
بين بعثتين 114

الفصل الثالث: نشأةُ حركة فتح 119
تمهيد 119
البدايات 121
فلسفة الحركة وأهدافها 135
الهيكل التنظيمي 138
مصادر التمويل 143
فلسطيننا 147
خلافٌ مبكرٌ 151
منظمة التحرير: تصوّرٌ عربيٌّ وطموحٌ فلسطينيٌّ 153
مكتب الجزائر: بوابةٌ إلى العالم 161

الفصل الرابع: إعلان الانطلاقة وبداية الكفاح المسلّح 165
متعقّلون ومغامرون 165
أوّلُ الرصاص 170
تياراتٌ معاكسةٌ 178
على حافة الهاوية 186
معركة السموع 195

الفصل الخامس: حرب حزيران/ يونيو 1967 وما بعدها 201
من الكويت إلى دمشق 201
الانطلاقة الثانية 206

معركة الكرامة: مقدماتٌ ونتائج 219
أولًا: ما قبل المعركة 219
ثانيًا: مجريات المعركة 227
ثالثًا: قفزةٌ إلى الأمام 237
لقاء مع جمال عبد الناصر 240
قواعدُ على الجبهة الأردنية 250

الفصل السادس: المسارُ السياسي 255
تعدّد الفصائل 255
كيف أصبح عرفات ناطقًا رسميًا؟ 257
قيادةُ الكفاحِ المسلّح 264
الانضمام إلى منظمة التحرير 276
جيش التحرير 283
الصندوق القومي الفلسطيني 284
ملامحُ الخط السياسي 286
بين دولةٍ في الضفة والقطاع والدولة الديمقراطية 289
جهاز الرصد المركزي 295

الفصل السابع: خروجُ المقاومة من الأردن 301
المقدّمات 301
طاهر دبلان وكتائب النصر 305
زيارة الصين وفيتنام وكوبا 313
صدامٌ متجدّدٌ 318

أيام أيلول 328
خطف الطائرات 328
حصارٌ واعتقال 333
اللجنة العربية العليا للمتابعة 347
خطبةٌ في مخيّم الوحدات 354
منظمة أيلول الأسود 360
تقييم صلاح خلف للمرحلة 363
الملاحق 377
المراجع 439
فهرس عام 463

قائمة الصور

(1-1): وصول سفينة تحمل يهودًا مستوطنين
إلى فلسطين عام 1948 34

(1-2): تدريبات عناصر من فِرق الفتوة
والنجادة عام 1946 36

(1-3): فلسطينيون يركبون قوارب النزوح عام 1948 39

(2-1): صلاح خلف بعد التحاقه بكلية دار العلوم 59

(2-2): صلاح خلف مع رفاقه
بعد التحاقه بكلية دار العلوم 60

(2-3): صلاح خلف مع رفاقه في القاهرة 60

(2-4): وثيقة الوفاء المكتوبة بالدم 66

(2-5): صلاح خلف
خلال إحدى الفعاليات الطلابية 67

(2-6): صلاح خلف في أحد المؤتمرات الطلابية 68

(2-7): صلاح خلف خلال زيارته إلى السعودية 69

(2-8): صلاح خلف في السعودية 70

(2-9): صلاح خلف ورفاقه في السعودية 71

(2-10): صلاح خلف وزهير العلمي ورفاقهما
في أثناء تأدية العمرة 71
(2-11): صلاح خلف وفتحي البلعاوي في غزة 76
(2-12): التظاهرات الاحتفالية لسكان قطاع غزة
بعد انسحاب الاحتلال 84
(2-13): صلاح خلف خطيبًا
في أحد الاحتفالات في غزة 84
(2-14): صلاح خلف وعلي ناصر ياسين
ورفاقهما في مصر 86
(2-15): صلاح خلف ورفاقه
في أحد المؤتمرات الطلابية 86
(2-16): صلاح خلف مع رفاقه
في أحد المؤتمرات الطلابية في أوروبا 87
(2-17): صلاح خلف في براغ 88
(2-18): صلاح خلف وزهير العلمي
وياسر عرفات متوجهين إلى براغ 89
(2-19): في مؤتمر الشباب العالمي في موسكو 90
(2-20): في مؤتمر الشباب العالمي السادس في موسكو 91
(2-21): صلاح خلف مع رفاقه بعد عودته إلى غزة 104
(2-22): صلاح خلف مع أحد رفاقه في غزة 105
(2-23): صلاح خلف وعبد الكريم العكلوك في غزة 105
(2-24): صلاح خلف مع ابنته إيمان في الكويت 107
(2-25): صلاح خلف مع أولاده في الكويت 108

(2-26): صلاح خلف مع أسرته 109
(2-27): صلاح خلف خلال إحدى زياراته
لمؤسسة بيت أطفال الصمود 110
(2-28): صلاح خلف مع ابنه إياد 111
(2-29): صلاح خلف
مع والدته وابن عمه رياض خلف 113
(2-30): صلاح خلف مع والده مصباح خلف 113
(3-1): صلاح خلف مع زملائه 124
(3-2): صلاح خلف وسليم الزعنون في الكويت 127
(3-3): صلاح خلف مع رفاقه في الكويت 133
(3-4): صلاح خلف في الكويت 134
(4-1): صلاح خلف في الجزائر 175
(4-2): صلاح خلف مع الرئيس هواري بومدين 177
(5-1): ملصق معركة الكرامة الذي أصدرته حركة فتح 234
(5-2): لقاء قادة حركة فتح
مع الرئيس جمال عبد الناصر 245
(5-3): صلاح خلف خطيبًا
في قاعة مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في جدة 247
(5-4): دورة عسكرية نسائية
في معسكر حمورية القريب من دمشق 252
(5-5): فدائيات في أحد معسكرات التدريب عام 1968 253
(7-1): صلاح خلف مع عدد من قيادات حركة فتح
خلال زيارتهم للصين 314

(7-2): صلاح خلف مع الوفد الفلسطيني
خلال زيارة الصين 315

(7-3): الوفد الفلسطيني خلال زيارة الصين 316

(7-4): صلاح خلف مع الوفد الفلسطيني
خلال زيارة فيتنام الشمالية 318

(7-5): نقل جريح خلال حوادث أيلول/ سبتمبر 1970 339

(7-6): ياسر عرفات مع وصفي التل
وأعضاء اللجنة العربية العليا للمتابعة 349

سأثير هذا العالم من أجل قضيتي العادلة
وكلي رغبتي الوحيدة ستكون آنذاك أن أهضم
أخر فتاة شجرة من بلادي وآخر قتيل على أرضه
تراب الوطن وبعدها أن أموت بصمت وسيعمل
رفاقي عالم أستطع فعله ... وأن يصنعوا
الصفوف واحداً إلى الجاد فليس بالأمل
من أعماله النفوس وحده من الشعوب
نضال ...

تمهيد

لم يترك الشهيد صلاح خلف في أوراقه نصًا كاملًا ليوميات أو مذكرات أو سيرة ذاتية مكتوبة بغرض الحفظ أو النشر المؤجل، كما يفعل عادة كثير من السياسيين أو القادة الوطنيين، لكنه ترك ما قد يكون أهم من ذلك حين قرر في إحدى ليالي شهر رمضان، صادفت ليلة الثامن من آب/ أغسطس 1979، أن يسجّل بصوته رواية مختصرة لأربعة وأربعين عامًا، تغطي الفترة بين عامي 1933 و1977، يوثق فيها لحوادث عايشها في مكان هذه الرواية الممتد جغرافيًا بين يافا وغزة ومصر والكويت وسورية والأردن ولبنان، متنقلًا خلالها من منفى إلى آخر منذ غادر بيته اليافيّ الأول.

يضم أرشيف أبو إياد، المحفوظ في أرشيف ذاكرة فلسطين في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 325 تسجيلًا صوتيًا، تنوعت بين خُطب، وندوات، ومحاضرات، واجتماعات حركية، ولقاءات صحافية، وبرامج إذاعية، خصصت سبعة تسجيلات منها للجلسة العائلية التي رأى فيه أبو إياد فرصة لتسجيل انطباعاته وأفكاره وروايته عن المراحل التي مرّت بها حركة فتح، دون أن يُخفي نيّته تدوينها لاحقًا، وهو ما لم يحدث للأسف، إذ استشهد قبل أن يحوز الفرصة الملائمة، وهذا ما أشار إليه بقوله: "فضّلت أن أسجّل بعض هذه الانطباعات، فإذا كُتب لي أن أعيش لأكتبها بنفسي، فسأكتبها للتاريخ وللأجيال، حتى يستفيدوا من الأخطاء، ويستفيدوا من بعض الجوانب الناصعة في هذه التجربة التي بقدر ما فيها من المرارة والشقاء والمعاناة، فيها من التضحية، وفيها من التجربة الأصيلة التي تستحق أن يقف عندها كل مواطن فلسطيني، وكل مواطن عربي، بل كل حر في هذا العالم اغتُصب وطنه،

واغتُصبت أرضه، ويريد لشعبه حقه في تقرير المصير، وحقه في أن يكون له وطن، وأن يكون له هُوية"[1].

وإضافة إلى التسجيلات، ضم الأرشيف نسخة رقمية لما يزيد على 3500 وثيقة، كان يحتفظ بها أبو إياد في مكتبه في تونس، مما تمكّن من نقله معه من منزله في الكويت ومكتبه في بيروت إلى بيته في القاهرة، متضمنة رسائل وتقارير وبرقيات ومخططات لعدد من العمليات الخارجية تعود إلى أوائل سبعينيات القرن الماضي، كُتب معظمها بخط يده. إضافة إلى مقالات، ومقابلات صحافية، ومحاضر اجتماعات علّق على حواشيها. وعشرات التسجيلات المرئية، منها ما نُشر في وسائل إعلامية مختلفة، ومنها ما لم يسبق نشره، إذ شملت اجتماعات داخلية مع كوادر الثورة الفلسطينية، أو مؤتمرات حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"[2].

وهذا الأرشيف، على زخمه وغناه، غير مكتمل، فكما هو الحال في الذاكرة الفلسطينية التي فُقد الجزء الأكبر منها في الحروب والترحال والمنافي، اختفى جزء من أوراق صلاح خلف التي كان يحفظها في منزل في مدينة الحمامات التونسية، وضعه الوزير التونسي الطاهر بلخوجة (1931–) تحت تصرفه، وكان أبو إياد يلجأ إليه أحيانًا، ويحتفظ فيه بجزء من أوراقه، ويعتكف فيه ربما لتدوين مذكراته التي أشار إليها. بعد استشهاده، حاول أبناؤه استعادة هذه الأوراق لأهميتها، إلا أن الوزير التونسي أخبرهم أنه سلّمها إلى أحد المرافقين. وعلى الرغم من محاولتهم الدؤوبة لمعرفة سر اختفاء هذه الأوراق، ومَن الذي أخذها، وإلى أي جهة ذهبت، فإن ذلك كله كان بلا نتيجة، ولا يزال يثير تساؤلات كثيرة[3].

يصرّح صلاح خلف أنه ما كان ليكتب مذكراته قبل اعتزاله العمل السياسي، إذ يقول في لقاء صحافي أُجري معه عام 1978[4]: "ليس هناك مجنون يعمل في السياسة يكتب مذكراته، إلا إذا اعتزل العمل السياسي أو خَرِف". وقد أكد المعنى

(1) "اجتماع صلاح خلف مع أسرته، ج 1"، تسجيل رقم: م. خ/ ش 3/ و 2.

(2) جميع هذه الوثائق والتسجيلات محفوظة في موقع ذاكرة فلسطين في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

(3) منير صلاح خلف، مقابلة شخصية أجراها معين الطاهر، عمّان، 20/ 5/ 2020.

(4) "مقابلة مع صلاح خلف حول ورقة العمل الفلسطينية لحل أزمة لبنان"، مجموعة صلاح خلف، أرشيف ذاكرة فلسطين، وثيقة رقم: PM005.128.018.0018654.

نفسه في مقابلة له، سُبقت بتنويه يقول: "السيد صلاح خلف (أبو إياد) يرفض أن يُسمى ما يرويه لـ **المجلة** في هذه السلسلة، مذكرات أو ذكريات، لأن موعد كتابة المذكرات والذكريات لم يحِن بعد، وقد اقترح أن تحمل هذه الحلقات عنوان 'رجال ومواقف في المسيرة الفلسطينية'"[5].

حاولت بعض دور النشر، منذ عام 1973، إصدار عدد من الكتب تتناول شخصيات من الشرق الأوسط، فكان من حسن حظ صلاح خلف، كما يقول، أن صديقه الصحافي الفرنسي إريك رولو قد كُلّف بالكتابة عنه، فلما التقاه، وجد في ما جمعه الكثير مما يحتاج إلى التصويب والتصحيح، فاتفقا على أن يلتقيا ليسمع رولو روايته منه[6].

ظل إريك رولو يلتقي صلاح خلف في أماكن عدة مدة ثلاثة أعوام، يطرح عليه الأسئلة ويدوّن الإجابات، وكثيرًا ما كان أبو إياد يعقّب، بعد إجاباته، بإشارة إلى أنها ليست للنشر. وحين انتهى رولو من جمع مادة اللقاءات، أعلمه بنيته نشر الحوار على هيئة نص شبيه بالمذكرات، فجاء موجزًا ومرويًا على لسان أبو إياد، في كتاب حمل عنوان **فلسطيني بلا هُوية**[7]، وصفه أبو إياد بأنه "تحقيق صحافي طويل".

---

(5) "من ذاكرة أبو إياد: رجال ومواقف في المسيرة الفلسطينية"، مجموعة صلاح خلف، أرشيف ذاكرة فلسطين، وثيقة رقم: PM005.128.018.0003278.

(6) "مقابلة مع صلاح خلف حول ورقة العمل الفلسطينية لحل أزمة لبنان"، مجموعة صلاح خلف، أرشيف ذاكرة فلسطين، وثيقة رقم: PM005.128.018.0018654.

(7) صدر كتاب **فلسطيني بلا هُوية** أول مرة، باللغة الفرنسية، عام 1978، عن دار فايول (Abu Iyad & Eric Rouleau, *Abu Iyad Responsible Des Services Speciaux Palestiniens: Palestinien sans patrie* (France: Fayolle, 1978)). وشارك في نشر الكتاب من دور النشر الفرنسية دار سيكومور للنشر، ودار سندباد للنشر. يُنظر: "فلسطيني بلا وطن في بيروت – 17 شباط/ فبراير 1979"، مجموعة صلاح خلف، أرشيف ذاكرة فلسطين، وثيقة رقم: PM005.128.003.0002346. وصدر الكتاب، في العام نفسه، باللغة الإنكليزية، بعنوان *My Home My Land: A narrative of the Palestinian Struggle, Abu Iyad with Eric Rouleau* (New York: Times Books, 1978)، عن دار تايمز بوكس في نيويورك. وصدر بالعربية، بعنوان **فلسطيني بلا هُوية**، عن دار كاظمة في الكويت، ثم أعادت نشره دار الجليل في عمّان عام 1996. ويلاحِظ المطّلع فروقًا بين النسختين العربيتين، إذ تصدّرت نسخة دار كاظمة مقدمة وتمهيدًا بقلم إريك رولو، تضمنت حديثًا عن علاقة القضية الفلسطينية بالأنظمة العربية، وعلى رأسها النظام الأردني، وهذا ما تجنبت نسخة دار الجليل ذكره، ولجأت إلى تهذيب أي حديث حوله، فحذفت منه ما يتعلق بحوادث أيلول/ سبتمبر 1970. للمقارنة بين النسختين، يُنظر: صلاح خلف، **فلسطيني بلا هُوية**، لقاءات مع الكاتب الفرنسي إريك رولو (الكويت: دار كاظمة، [1978])؛ صلاح خلف، **فلسطيني بلا هُوية: سيكون لنا ذات يوم وطن**، تحرير فؤاد أبو حجلة (عمّان: دار الجليل، 1996).

وهنا، لا ندّعي أنّ هذا الكتاب مذكرات للشهيد صلاح خلف، فكما أسلفنا لم نعثر نحن أو عائلته على ما يمكن أن يُطلق عليه وصف يوميات أو مذكرات، لكن اعتمادنا الرئيس كان على ما تركه لدى عائلته من وثائق وتسجيلات. ويمكن القول إن هذا الكتاب بمنزلة تدوين لمسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، متزامنة مع سيرة صلاح خلف، استنادًا إلى أوراقه. وهو، ضمن هذا الإطار، عمل بحثي أكاديمي، شارك في إنجازه فريق عمل كامل على مدى خمسة أعوام أو يزيد، يغطي المرحلة بين عامَي 1933 و1971 من حياة صلاح خلف، وعمر الحركة الوطنية الفلسطينية، وسيتبعه جزء ثانٍ يُستكمل لاحقًا.

بدأت رحلة إعداد الكتاب بتفريغ التسجيلات الصوتية المشار إليها سابقًا، إضافة إلى تسجيلات المقابلات الأصلية التي أجراها إريك رولو مع صلاح خلف وعددها 55 تسجيلًا، حصلنا عليها من عائلة رولو، وقد تولى الزميل علي حامد مهمة تصنيفها وفق مضامينها، ثم مقارنة محتواها مع ما ورد في النسخة العربية من كتاب **فلسطيني بلا هُوية** (طبعة دار كاظمة)، لرصد الفروقات بينها. أما الوثائق التي ضمتها مجموعة أبو إياد الأرشيفية، فصُنفت ثم أُعيد ترتيبها ضمن وحدات موضوعية، ثم طُبعت، بعد استبعاد المواد الصحافية والوثائق غير الواضحة. وجدير بالذكر أن هذا المسار في العمل رافقه مسار آخر لأرشفة هذه المواد ضمن مشروع أرشيف ذاكرة فلسطين.

أُسست بنية الكتاب على رواية صلاح خلف الواردة في جملة الوثائق والمواد الأرشيفية المتوفرة في مجموعته، خاصة التسجيلات السبعة للجلسة العائلية، وتسجيلات إريك رولو. ولم يلجأ الباحثان إلى نص **فلسطيني بلا هُوية** إلا لتغطية مادة أحد التسجيلات المفقودة من مجموعة إريك رولو، أو تكملة معلومات قليلة ومحدودة في مواضع متفرقة، لعدم ورودها في التسجيلات. ثم استُكمل النص بمراجعة أغلب الأدبيات والوثائق المتعلقة بالحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، وعدد من المقابلات الشخصية التي أُجريت مع بعض رفاق الشهيد، مع الاستفادة من عدد وفير من المراجع وكتب اليوميات والمذكرات والدراسات والبحوث التي تناولت المرحلة التي عايشها صلاح خلف، وشارك في صناعة حوادثها. وقد توسّع الباحثان في استخدام الهوامش لتوثيق ما ورد في المتن، ومقارنته بما جاءت به روايات أخرى، سواءً بهدف تأكيد رواية أبو أياد أو معارضتها أو توضيحها أو

التوسّع فيها، إذ لا يخفى على القارئ أننا لا نمتلك رواية واحدة حول نشأة حركة فتح التي قادت الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، ولا تقييمًا موحدًا حول مؤسسيها وأدوارهم. كما تتباين التفسيرات لمجريات الحوادث والتغييرات التي طرأت عليها، لكن في هذا الكتاب، سيبقى دومًا صلاح خلف وآراؤه محور الرواية وجوهرها.

ختامًا، ندين بالشكر في هذا العمل أولًا لعائلة صلاح خلف التي أتاحت أمامنا هذا الإرث الوطني الغني للاطلاع على محتواه والاستفادة منه، وثانيًا لفريق العمل الذي تولى مهمات الطباعة والتفريغ والتصنيف والأرشفة والمراجعة، فلولاهم ما كان ليُنجز هذا الكتاب. كما ندين بالشكر لأسرة المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ومديره العام الدكتور عزمي بشارة، وللزميلين بلال شلش وصقر أبو فخر اللذين راجعا هذا المخطوط وأثرياه بفضل ملاحظاتهما. ولا يفوتنا أن نذكّر القارئ أن ما يلقاه هذا العمل من مدح أو تقريظ فمردّه إلى الجهد الجماعي الذي بُذل في سبيل إخراجه على هيئته النهائية، وما قد يعتريه من قصور فيتحمّله الباحثان.

مقدمة

"خطرت لي أن أسجّل هذه الكلمات في جلسة جمعتني مع أخي أبو الحسن [علي ناصر ياسين]، وكان أملي أن أقول بعض كلمات لمن أحب في هذه الحياة، فلا أدري إذا كانت الدنيا ستجمعني فيهم أو معهم، أو سيكون نصيبنا اللقاء في أرض غير هذه الأرض التي نعيش فيها. أحببت أن أوجه بعض رسائلي:

أولًا، أبدؤها بهؤلاء الأشبال الصغار الذين أودّعهم في كل مكان وأنا أحسّ أنهم قطعة مني. إنني كلما سافرت لأؤدي بعض واجبي نحو شعبي أحسّ أنّ هناك من أحبهم أغادرهم وأتركهم، ولكنّ أملي، وكل شعوري، أنني أتركهم لما هو أكبر منهم وأكبر مني، أتركهم من أجل وطني، من أجل بلادي، من أجل الشعب الذي أحبه أكثر من أولادي.

أحببت أن أوجّه الرسائل لعلهم، حين يكبرون، لا يحقدون على أبيهم إذا فقدوه، إذا سألوا أين أبونا، فيجيب من يجيب لقد تركككم والدكم من أجل رسالة أكبر، ومن أجل رسالة أعظم من الحياة معكم، ومن الحياة بقلوبكم. إنني أحبهم كوالد، وأشعر أنهم قطعة من نفسي، وقطعة من قلبي، ولكن هل يفكر كل واحد منّا بأولاده ويترك وراءه وطنه وبلاده؟ إنّ الحنين إلى الأولاد، والحنين إلى الزوجة، والحنين إلى الأهل والأحباب، جزء من الإنسان ومشاعره، ولكنّ الحنين إلى الوطن دائمًا ينازع الإنسان الذي يتطلع إلى مستقبل أفضل، وإلى حياة أفضل لشعبه وبلاده. إنني أتذكرهم دائمًا، ولا أستطيع أن أنسى [واحدًا] منهم. إنني أريدهم حينما يفقدوني أن يشعروا أنّ والدهم تركهم لما هو أعز وأفضل، ولما هو أحب إلى كل إنسان عاقل مخلص.

إنني أريدهم أن يعتزوا بهذا الإنسان الذي ترك عواطفه جانبًا، وأراد أن يذهب إلى حيث يستطيع أن يخدم بلاده، وهو مرتاح الضمير مرتاح النفس. إنني أعرف أنني أترك صغارًا، ولكنني أتركهم لرجال، لرجال حملوا معي هذه الأمانة، وحملتها معهم، لنكون جميعًا شهداء درب طويل، لا ندري متى يكون النصر، ولكن ندري شيئًا واحدًا، أننا فعلنا شيئًا، وأنّ التاريخ سيسجّل أنّ هذه الفئة من أبناء فلسطين رفضت الهزيمة، وماتت وهي ترفض الهزيمة، وستعيش إذا عاش منها نفر وهو معتز بنفسه، معتز بإخوانه، معتز برسالته.

أما زوجتي، فإنني أخاطبها بقلب كله حب، وكله ثقة، ولكن آمل أنها ستكون من بعدي هي الحامية لهؤلاء الأولاد من الضياع، وأنا واثق أنها عند حسن الظن بها، فغيرها من النساء يعشن مع أزواجهن، ويعشن مع أولادهن، عيشة راضية هانئة، ولكنها تستقبل زوجها لتودعه، وتستقبله لتودعه مرة ثانية. إنني لا أستطيع في هذه الرسالة أن أقول لها شيئًا، سوى كلمة واحدة، إنك زوجة كغيرك من الزوجات اللواتي دفعن أزواجهن إلى المعركة وهن لا يسألن شيئًا سوى إرضاء الضمير، وإرضاء الواجب. إنني أقول لها لا تحقدي عليّ، ولا تقولي إنني تركتك وحيدة، إنني تركتك مع أولادك وأملي فيك أن تحملي الرسالة حتى نصل إلى الطريق، ولك أن تفتخري بكل إنسان حمل هذه الرسالة، فكثير من الزوجات يفقدن أزواجهن في حوادث عابرة، ولكنك تفقدين زوجك وأنت تعلمين الرسالة التي يحملها مع إخوانه؛ رسالة من أشرف وأنبل ما عرفت الشعوب التي تحمل رسالة تحرير الأوطان، وقد نصل وقد لا نصل، ولكن المهم أننا كنّا نعمل على أن نصل.

ثم أترك زوجتي بعد ذلك إلى والدي ووالدتي، وإلى أحبابي جميعًا، إنني، كإنسان أعيش في هذه الأرض، تمر بي مشاعر عديدة، ولكنّ هذه المشاعر ما كانت في يوم لتجعلني أفضلهم عن واجبي الذي آمنت به، فليس لي منهم سوى كلمة واحدة، كلمة رضاء.

أنا أعلم أنّ والدي كان يتطلع إلى أن أريحه في آخر زمانه، وكذلك والدتي، وكذلك إخواني، ولكن هل يرضى والدي، وترضى والدتي، أن أعيش جبانًا بعيدًا عن أرض المعركة؟ أنا لا أقدّم لهؤلاء الأبطال الذين يقدّمون أرواحهم كل يوم فدى وطنهم، لا أقدّم لهم سوى الكلمة، وسوى الوقفة معهم، أحضّر لهم ما يمكن أن

يُحضَّر، وأهيئ لهم ما يمكن أن يُهيَأ مني، ولكنهم هم الذين يموتون ويستشهدون، ويصنعون لنا النصر الذي يرفع رؤوسنا جميعًا، لذلك إنني أحسّ بأنني أمامهم إنسان ضئيل لا أقدّم شيئًا. لقد ودّعوا أطفالًا قبل أن أودّع، وودّعوا زوجات قبل أن أودّع، وودّعوا أهلًا وأحبابًا قبل أن أودّع، ولذلك يجب أن يشعروا أننا جميعًا معهم، معهم قلبًا وقالبًا.

[فلكل] هؤلاء الأحباب جميعًا؛ أطفالي الصغار، وزوجتي العزيزة، ووالدي ووالدتي، وكل الأحباب والأصدقاء، تحية ليس بعدها سوى كلمة أنّ هذا الإنسان تركككم لما هو أفضل منه ومنكم، وهو الوطن العزيز الحبيب.

الكويت – صلاح خلف (أبو إياد)"[1]

(1) هذه المقدمة اختارها الباحثان من: "وصية صلاح خلف"، مجموعة صلاح خلف، أرشيف ذاكرة فلسطين، وثيقة رقم: PM005.128.017.0004623. وكان الشهيد أبو إياد قد سجّلها بصوته بعد معركة الكرامة عام 1968، وأودعها عند علي ناصر ياسين، وحصلت زوجته على التسجيل بعد استشهاده عام 1991 من زوجة علي ناصر ياسين، ثم نُشرت في: منير خلف، **رسائل المحب إلى الأحب** (القاهرة: دار المركز المصري العربي، 2004).